السرقات الأدبية

للأستاذ ابراهيم عبد القادر المازني

سأقص على القراء حادثة أعذر من لا يصدقها ولا ألوم من ب في صحتها ، ولكنها مع ذلك حقيقية ، وبعض الحقائق ب من تلفيقات الخيال . وذلك أني على أثر الثورة المصرية سنة ١٩١٩ ذهبت إلى الاسكندرية لأقضي فيها أياماً أو لأتخذ ا مقامي – حسب الأحوال – وكنت لا أزال سقيم الأعصاب آ . وكنا في رمضان فأفطرنا واسترحنا ثم خرجنا لنحيي الليل بهر كما هي العادة وكنت منشرح الصدر ، ولكني لم أكد اوز عتبة البيت حتى وقفت وقلت لقريبي إني محموم ، فأنا راجع ، مني فلم يجد بي شيئاً فأصررت على أنها الحمى ، فرقدت وكنت أكاد أطيق الصهد الذي أحسه . وزال عني ذلك بعد ساعة اثنتين غير أني لزمت الفراش وعادني طبيب الأسرة في اليوم لي فقال : إن هذه حمى عصبية . فاستغربت ولكني عانيت من عصاب ما جعلني أصدق كل شيء ، وبقيت أياماً في البيت رني في خلالها صديقي الأستاذ العقاد وترك لي رواية روسية لى بها ، فأكببت عليها وقرأتها في ساعات أحسست بعدها أني ت أقوى وأصح بدناً وأقدر على المكافحة والنضال في الحياة ، ه صار في وسعي أن أستخف بما يحدث لي سقم الأعصاب من هم . وعدت إلى القاهرة ، ومضى عام فطلب مني بعضهم أن جم له رواية ؛ فقلت لنفسي إني مدين لهذه الرواية الروسية فاني وبالروح الجديدة التي استولت علي ، فيحسن أن أنقلها إلى ربية عسى أن تنفع غيري كما نفعتني . وقد كان . نقلت الرواية رعة ، وكنت أذهب إلى المطبعة لتصحيح المسودات فيقول لي امل أحياناً : إن الأصول نفدت ، فأقعد في أي مكان وأفتح الرواية روح أترجم وأرمي للعمال بالورقة بعد الورقة ، وكأني أدون كلاماً فظته من قبل . ولست أذكر هذا لأباهي به ولا لأقول لكم إني جل بارع ، بل لسبب آخر سيأتي ذكره في موضعه . وفرغنا من رجمة والطبع ؛ ولم يعن الناشر بأن يبعث إلي بنسخة من الرواية ولم أعن أنا بأن أطلب أو أدخر نسخة ؛ وقد نسيت أن أقول إني لقبتها « ابن الطبيعة » وكان اسمها في الأصل « سَنين » وهو اسم بطلها . وليس هذا إعلاناً فقد نفدت من زمان طويل . كان هذا في سنة ١٩٢٠ . وفي سنة ١٩٢٦ شرعت أكتب قصة « ابراهيم الكاتب » وانتهيت منها ولم أرض عنها فألقيتها في درج حتى كانت سنة ١٩٣٠ فخطر لي أن أنشرها ، فدفعت بها إلى المطبعة ، فاتفق بعد أن طبعنا نحو نصفها أن ضاعت بعض الأصول وكنت لطول العهد قد نسيت موضوعها وأسماء أشخاصها فحرت ماذا أصنع ؛ ثم لم أر بداً من المضي في الطبع فسددت النقص ووجهت الرواية فيما بقي منها توجيهاً جديداً . ونشرت الرواية . وبعد شهور تلقيت نسخة من مجلة « الحديث » التي تصدر في حلب وإذا فيها فصل يقول فيه كاتبه إني سرقت فصلا من رواية ابن الطبيعة . فدهشت ولي العذر . واذكروا أني أنا مترجم ابن الطبيعة وناقلها إلى العربية ، وأن أربعة آلاف نسخة نشرت منها في العالم العربي ، وإني أكون أحمق الحمق إذا سرقت من هذه الرواية على الخصوص . فبحثت عن ابن الطبيعة وراجعتها وإذا بالتهمة صحيحة لا شك في ذلك ، بل هي أصح مما قال الناقد الفاضل . فقد اتضح لي أن أربع أو خمس صفحات منقولة بالحرف الواحد من ابن الطبيعة في روايتي « ابراهيم الكاتب » . أربع أو خمس صفحات سال بها القلم وأنا أحسب أن هذا كلامي . حرف العطف هنا هو حرفه هناك ؛ أول السطر في إحدى الروايتين هو أوله في الرواية الأخرى ... لا اختلاف على الاطلاق في واو أو فاء أو اسم إشارة أو ضمير مذكر أو مؤنث ... الصفحات هنا هي بعينها هناك بلا أدنى فرق . ومن الذي يصدقني إذا قلت إن رواية ابن الطبيعة لم تكن أمامي ولا في بيتي وأنا أكتب روايتي ؟ من الذي يمكن أن يصدقني حين أؤكد له أني لم أر رواية ابن الطبيعة مذ فرغت من ترجمتها ، وأني لو كنت أريد اقتباس شيء من معانيها أو مواقفها لما عجزت عن صب ذلك في عبارات أخرى ؟ لهذا سكت ولم أقل شيئاً وتركت الناقد وغيره يظنون ما يشاءون فما لي حيلة . ولكن الواقع مع ذلك هو أن صفحات أربعاً أو خمساً من رواية ابن الطبيعة علقت بذاكرتي — وأنا لا أدري — لعمق الأثر الذي تركته هذه

الرواية فى نفسى فجرى بها القلم وأنا أحسبها لى . حدث ذلك على الرغم من السرعة التى قرأت بها الرواية والسرعة العظيمة التى ترجمتها بها أيضا . ومن شاء أن يصدق فليصدق ، ومن شاء أن يحسبنى مجنونا فان له ذلك . ولست أروي هذه الحادثة لأدافع عن نفسى فما يعنينى هذا ، وإنما أرويها على أنها مثال لما يمكن أن تؤدى إليه معابثة الذاكرة للانسان . وليست الذاكرة خزانة مرتبة مبوبة ، وإنما هى بحر مائج يرسب ما فيه ويطفو بلا ضابط نعرفه ومن غير أن يكون لنا على هذا سلطان . فالمرء يذكر وينسى . ويغيب عنه الشيء ويحضر بغير إرادته وبلا جهد منه ، ويعلق بذاكرته مايعلق وهو غير دار أو مدرك لما يحدث ، وتتزاوج الخواطر وتتوالد كما يتزاوج الناس ويتوالدون وهو غير شاعر بشيء مما يجرى فى نفسه من التفاعل وأثره

ولست أحب أن أجعل من نفسى قاضيا يحكم على هذا السرقة وعلى ذلك بالانتحال إلى آخر هذا ، وإنما أحب أن أعلل وأفسر الحالات أو الحركات النفسية التى تؤدى إلى ما يمكن أن يسمى سرقة أو اقتباساً أو التى تغرى إنسانا بما فكر فيه غيره . ولا جديد فى تعليلي أو تفسيرى فانه قائم على علم النفس ، وإنما الجديد فيه هو التوجيه أو التطبيق ، ولا فضل فى هذا ولا مزية له . ومن أجل ذلك أقصر هذا الفصل على الأمثلة فان المقام لايتسع لها ولما يدولى من وجوه التعليل ، وأرجو أن تتاح لي فرصة قريبة أشرح فيها مذهبي ورأيي فى هذه الحالات

وقد عنى العرب بتعقب شعرائهم ، فكل شاعر ظهر له من ينخل كلامه ويغربله ويرد المعانى إلى أصحابها أى إلى الذين سبقوا إليها . والسبق في الزمن هو الذى يكسب السابق الحق في المعنى ؛ وأنا أقول المعنى لأنه لم يكن ثم موضوع للقصائد غير الأغراض المألوفة مثل المدح والهجاء والفخر والغزل وما إلى ذلك . ولما كان البيت فى الشعر العربي القديم هو الوحدة فقد صارت الأبيات المفردة هى مدار هذا الضرب من النقد ؛ فهذا أخذ معنى البيت الفلانى من فلان ، وذاك نظر إلى قول علان ، إلى آخر هذا إن كان له آخر . ولهم فى هذا الباب حكايات بعضها لاشك مختلق والبعض قد يكون صحيحا ، وأعنى بهذه الحكايات ما يراه المرء فى كتب الأدب من أن بعض الشعراء المتهتين المستخفين بالدنيا ومافيها من مثل أبي نواس سمع شاعرا مغمورا ينشد قصيدة فأعجبه معنى بيت فيها فأخذه جهرة وقال : أيروى لك هذا المعنى وأنا حى ؟ . . ومثل ما يروون من أن المتنبي كان ينكر فى حياته أنه قرأ شعر ابن الرومي ، فلما قتل وجدوا بين أوراقه نسخة خطية بالطبع من ديوان ابن الرومى وعليها تعليقات بخط المتنبي . ولافائدة من محاولة التمثيل لهذا النوع من السرقات فان الكلام خليق أن يطول بلا جدوى ومن غير أن نجئ فيه بجديد وأكثر القراء يستطيعون أن يرجعوا إليه إذا شاءوا فى كتب الأدب المتداولة . لهذا أؤثر أن أسوق أمثلة مما فى الآداب الغربية مما يدخل فى باب السرقات فان الأمر فى هذه أمر موضوع يقتبس ، أو قصيدة برمتها تؤخذ من أولها إلى آخرها على طولها بالحرف الواحد . والقليلون يعنون بتعقب هذا فذكر أمثلة منه خليق أن يكون أمتع .

أشهر شعراء الاغريق هومر كما لا أحتاج أن أقول ؛ وقد قرأت ترجمتين انجليزيتين له وحطمت رأسى بهما وأعترف أنه لم يرقنى منه إلا القليل ، ولكن كنت أخشى أن أجاهر بهذا الرأى لئلا يقول عنى إخوانى إن ذوقي فاسد أو إن بى نقصاً فى الاستعداد الأدبى ؛ أما الآن فانى أستطيع أن أجهر بذلك وأنا لا أخشى تهماً كهذه . على أنى لا أذكر هومر الآن لأقول رأيي فيه بل لأروى قصتين صارتا الآن معروفتين : الأولى أن الأدب الاغريقي كان فى العصور الوسطى مجهولا أو مدفوناً وكان لايعرفه إلا الرهبان الذين احتفظوا بنسخ منه ضنوا بها على النشر والاذاعة لأنه أدب وثنى ، وفيما عدا هؤلاء الرهبان لم يكن أحد يعرف شيئاً لاقليلا ولا كثيراً عن الأدب الاغريقي ، فكان من سخرية الأقدار أن الرجل الذى رد إلى العالم هومر فى القرن الرابع عشر كان سكيراً نصاباً وشريراً كبيراً ، وأن الرجل الذى حمله على ترجمة هومر كان من أبرع كتاب النهضة ، وأن الرجل الذى آلى على نفسه أن يعمل على نشر جمال الأدب الاغريقى فى العالم كان لايعرف حرفاً واحداً من اللغة الاغريقية . هؤلاء الثلاثة الذين جمعهم الحظ هم بيلاتس Pilatus وبوكاكشيو Boccaccio وبترارك Petrarch . فأما أولهم فكان مغامراً يؤثر أن يستخفى لأسباب لعل البوليس أعرف بها ؛ وكان قذراً كثير الشعر دميم الخلقة ، ولكنه كان يعرف اللغة الاغريقية فجاء به

ركا كشيو وأنزله عنده ضيفاً فبقي ثلاث سنوات . أما بوكا كشيو معروف مشهور وهو عندى أنبغ نوابغ الايطاليين ولكنه كان ساذجاً وكان لا يعرف قدر نفسه وكان عظيم التوقير لبترارك حتى قد صار فى آخر حياته يخجل لأنه كتب ما كتب باللغة الايطالية العامية لا باللاتينية . وأما بترارك فقد اقتنع لسبب لانعرفه بأن المخرج الوحيد من السوء الذى يراه فى زمانه هو إحياء درس الأدب الاغريقي ، ويظهر أنه كان هناك اعتقاد بأن هذا الأدب المقبور هو القادر وحده على حل المشاكل التى كانت تواجه العالم فى ذلك الزمان ، وهكذا عرف الناس هومر بعد أن قبره الزمن بضعة قرون .

ومن المحقق أن هومر كان يعرف الأساطير المصرية وأنه استعان بها فى قصيدتيه — الالياذة والأوديسية — وأحسب أن كثيرين قرأوا البحوث التى نشرها الأستاذ عبد القادر حمزة وأثبت فيها — استناداً إلى ما وقف عليه وكشف عنه العلماء الآثار المصرية والتاريخ المصرى القديم — أن هومر أخذ كل العقائد وكل القصص من المصريين . والمصريون كما لا أحتاج أن أقول — أسبق بآلاف السنين لا بمئاتها فقط ، وهم الذين نشروا فى العالم القديم العقائد التى لا تزال باقية إلى اليوم . وهم أول من فكر فى الروح والآخرة والحساب والعقاب . وقد ذهبت مدنيتهم ولكن آثارها بقيت وهى على قلتها كافية للدلالة على حضارتهم . وقد نشر الأستاذ عبد القادر حمزة النصوص وأثبت منها أن هومر أخذ قصصه من مصر وأن كل مافعله هو تغيير الأسماء وقلبها إغريقية . وأنا أزيد على ذلك أن هيرودوت يقول عن هومر كلمة لها مغزاها ، ذلك أنه يصف عمله بأنه « تنظيم » ، ويقول عنه فى موضع آخر إنه وضع « إطاراً » للقصص ، وفى موضع آخر أيضاً إنه « جمع » . ومعنى هذا أنه كان معروفاً أن هومر لم يبتكر قصصه وإنما جمعها ورتبها ونظمها . ويظهر أنه كانت هناك روايات متعددة مختلفة وأن هومر شعر بالحيرة بينها ولم يدر أيها يؤثر : ألرواية المصرية أم الروايات المشوهة التى شاعت فى اسبارطة وأثينا وفى غيرها ؟ ولهذا اضطرب ولم يستقر على رأى فى أيهما هو البطل — هكتور أو أخيل — ويرجح بعضهم أنه لحيرته بين الروايات المختلفة أعد نصين ، واحداً ينشده على الجانب الأسيوي والآخر ينشده على الجانب الأوربى . على أن المهم أن هومر أخذ موضوعه كله بكل ما انطوى عليه من مصر ، فلولا مصر لما كان هومر . وأحسب أن الدنيا ما كانت حينئذ تخسر شيئاً فقد أصبح هومر اسماً لا أكثر

وأدع التوافه مثل قول أكثر من ناقد واحد : إن الرومان مدينون بفكاهتهم للاغريق ، وإنه ما من نكتة فى الأدب الرومانى إلا وهى مأخوذة من نكت الاغريق أولها مايقابلها عندهم ، ومثل قولهم إن « الأبولوجيا » أو الاعتذار الذى كتبه سنيكا لما أمره نيرون بالانتحار ليس سوى تقليد ضعيف للأبولوجيا التى كتبها أفلاطون عن سقراط بعد الحكم على سقراط بالموت ، ومثل قولهم إن وصف درع « إينياس » فى قصيدة فرجيل مأخوذ من وصف هومر لدرع أخيل ، وقولهم أيضاً إن خير ما فى إينيادة فرجيل منقول بالحرف من إينيوس Ennius وكاتالاس Catallus وأن القصيدة كلها فى الحقيقة ليست أكثر من مقاطيع منقولة من شعراء سابقين مثل هومر وأبوللونيوس Appollonius ورودياس Rhodias ولوسيلياس Lucilius ولوكريشلاس Lucretius وأن مكروبيوس Macrobius ضبط كل هذه السرقات ، ومثل قولهم إن الشاعر الانجليزى « مارلو » — معاصر شكسبير — انتحل أبياتاً كثيرة ترجمها عن اليونانية فى روايته « الدكتور فاوست » . أدع كل هذا لأنه كما قلت من التوافه وأثب إلى ملتون الشاعر الانجليزى المشهور ، وأعترف أنى لا أحبه وأنى ما استطعت فى حياتى أن أقرأ له قصيدة مرتين . وأشهر ما لملتون قصيدة « الفردوس المفقود » وأختها « الفردوس المستعاد » والأولى لا الثانية هى التى تقوم عليها شهرته . وهذه يقول النقاد إن من المعروف أنها عبارة عن جملة سرقات من ايسكلاس ودانيد وماسينياس وفوندل وغيرهم . ولكنه لم يكن معروفاً أن الفردوس المفقود كله — موضوعه ومواقفه وعباراته أيضاً — مترجمة ترجمة حرفية عن شاعر إيطالي مغمور غير معروف كان معاصراً لملتون . لم يكن هذا معروفاً حتى اهتدى إليه « نوزمان دوجلاس » فقد اتفق له أن عثر على نسخة وحيدة من رواية « ادامو كاروتو » Adamo Caruto لمؤلفها « سرافينو ديللا

سالاندرا » Serafino Della Salandra وهذه الرواية وضعت في سنة ١٦٤٧ .

وأنا أنقل هنا ما يقوله « نورمان دوجلاس » قال :

سأسوق الآن بلا تمهيد ما يكفي لاثبات أن الفردوس المفقود ليس إلا نقلا وترجمة لهذه الرواية

محور قصيدة سالاندرا هو ما أصاب العالم من جراء العصيان الذي أغرى به الانسان الأول . وهذا هو محور موضوع ملتون

والأشخاص في رواية سالاندرا هم الله ، وملائكته ، والانسان الأول والمرأة الأولى والحية وإبليس وزملاؤه . وكذلك في قصة ملتون

وفي فاتحة القصيدة أو التمهيد لها يذكر سلاندرا الموضوع ويتكلم عن الله وأعماله . وكذلك يفعل ملتون

ثم يصف سلاندرا مجلس الملائكة المتمردين وسقوطهم من السماء في منطقة جرداء نارية ويسوق أحاديثهم وكيف أنهم يحقدون على الانسان ويتفقون على الاحتيال على إسقاطه ويقررون أن يجتمعوا في الهاوية حيث يتخذون التدابير الخليقة أن تجعل من الانسان عدواً لله وفريسة لجندهم . وكذلك في ملتون

وسالاندرا يجسد الخطيئة والموت ويجعل الموت ثمرة الخطيئة . وكذلك يفعل ملتون

ويصف سالاندرا سبق العلم الالهي بنتيجة الاغواء وسقوط الانسان وتهيئته تعالى لأسباب الخلاص . وكذلك ملتون

ويصف سالاندرا موقع الجنة والحياة السعيدة فيها . ويفعل ملتون مثله

ويشرح سالاندرا الاعجاز في خلق العالم والانسان وفضائل الثمرة المحرمة . وكذلك ملتون

ويروي سالاندرا الحوار الذي دار بين حواء والحية ويصف الأكل من الشجرة المحرمة واليأس الذي استولى على أبوينا — آدم وحواء — وكذلك ملتون

ويصف سالاندرا فرحة الموت بما ارتكبته حواء والسرور الذي عم الجحيم والحزن الذي انتاب آدم وخروج آدم وحواء من الجنة وحزنهما وندمهما . وكذلك يفعل ملتون

ويتوقع سالاندرا مجيء المخلص وهزيمة الخطيئة والموت ويتكلم عن عجائب الخلق ويصف قتل قابيل لأخيه هابيل ويذكر الخطيئات في الدنيا والحرب وأهوالها . وكذلك ملتون

ويصف سالاندرا الحب الذي ينطوي عليه عيسى عليه السلام والعزاء الذي يشعر به آدم وحواء حين يبشرهما الملك بمجيء المسيح ثم خروجهما من جنتهما الأرضية . وكذلك يفعل ملتون

فالموضوع مأخوذ برمته كما أثبت ذلك نورمان دوجلاس . ويقول برتون راسكو : « إن هذا ليس كل شيء ويحيل القارىء على كتاب اسمه « أولد كالابريا » — كالابريا القديمة — ويؤكد أنه يؤخذ منه أن ملتون ترجم قصة سالاندرا حرفا بحرف وأن ماليس مترجما عن سالاندرا مترجم عن غيره من الشعراء القدماء

والذي يجعل الأمر أغرب أن ملتون كان قد أعلن قبل ذلك عزمه على نظم قصة خالدة لا يسمح الناس بأن يدعوها تموت وتقبر ، ويعني بها الفردوس المفقود ، وبعد أن أعلن عزمه هذا بسط لسانه في كل الشعراء الانجليز الذين تقدموه مثل شوسر وسبنسر وشكسبير ومارلو وجونسون ووصفهم بأنهم صناع آليون ، وانتقد هومر وفرجيل وتاسو وعاب شعرهم . ويعلل نورمان دوجلاس اهتداء ملتون إلى قصة سالاندار بأن ملتون لقيه في رحلته إلى إيطاليا ، وأن سالاندرا يرجح أن يكون أعطاه نسخة من قصته عسى أن يعينه على ترجمتها إلى الانجليزية . ويقول إن ملتون كان له أصدقاء راسلوه من إيطاليا وإنه قابل جروتياس Gratius في باريس وجاليليو Galelio في فلورنسا ، وإنه يحتمل أن يكون هذان قد أعطياه نسخة من القصة لما نشرت بالايطالية . والمحقق على كل حال أن قصيدة الفردوس المفقود نسخة طبق الأصل من قصيدة سالاندرا الايطالي .

وأنتقل الآن إلى ما هو أحدث في أثناء الحرب العظمى . لم يكن لنا عمل بعد السعي وراء الرزق إلا القراءة والاطلاع واتقاء التعرض لمكاره الاعتقال والسجن وما عسى أن يكون وراءهما . وقد وقتني الكتب ذلك مرة وجاء القوم يفتشون بيتي وكان معهم ضابط انجليزي ، فلما دخل المكتبة وأجال عينه في الرفوف وما عليها من كتب الأدب حسن رأيه فيّ ومال إلى الرفق ، فانتهى الأمر بخير . ولكن هذا استطراد فلنرجع إلى ما كنا فيه . والذي أريد أن أقوله هو أن صديقي الأستاذ العقاد أعارني

رماً قصة « تاييس » لأناتول فرانس فقرأتها بلهفة فقد استطاع المترجم الانجليزى أن يحتفظ بقوة الأسلوب وتحدره وبراعة العبارة وسحرها . ومضت بضعة شهور ثم دفع إلى الأستاذ العقاد رواية « هايبيشيا » للكاتب الانجليزى « تشارلز كنجزلى » فقرأتها أيضاً ، ثم سألنى : ما رأيك ؟ قلت : غريب . قال : إن الروايتين شىء واحد . قلت : صحيح

والواقع أن الروايتين شىء واحد وأن تاييس مأخوذة من هايبيشيا بلا أدنى شك . وفى وسع من شاء أن يقول إن أناتول فرانس ما كان يستطيع أن يكتب — أو ما كان يخطر له أن يكتب روايته لو لم يسبقه تشارلز كنجزلي إلى الموضوع . ذلك أن تاييس فى رواية أناتول فرانس هى هايبيشيا فى رواية كنجزلى ، والعصر هو العصر والبلاد هي البلاد ، وكل ما هناك من الاختلاف هو أن أناتول فرانس أستاذ فنان ، وأن تشارلز كنجزلى أستاذ مؤرخ. وأنا مع ذلك أفضل رواية هايبيشيا وأراها أكبر وأعمق وأملأ للنفس وأمتع للعقل ، فما لأناتول فرانس فى تاييس غير براعة الأسلوب وحلاوة الفن ، ولكن الصور في رواية هايبيشيا أتم وأصدق ، والشخصيات أكثر ورسمها أقوى وأوفى والموضوع أحفل . وفى وسعى أن أقول بلا مبالغة إنها تعرض عليك عالماً تاماً لا ينقصه جانب واحد من الجوانب ؛ أما تاييس فليست سوى لمحة خاطفة من هذا العالم

وتشارلز كنجزلى يرسم لك الحياة فى تلك الفترة من تاريخ مصر بكل ما انطوت عليه ويريك النـاس والأشياء والعادات والأخلاق والآراء والفلسفات الشائعة والفردية بدقة وأمانة ، أما أناتول فرانس فيرسم لك بقلمه البارع خطوطاً سريعة تريك ما وقع فى نفسه من ذلك العصر ، فهو أشبه بالمصورين الذين يجرون على طريقة الامبرشنزم أى الذين يصورون وقع المناظر فى النفس لا المناظر كما هى فى الحقيقة والواقع .

هذا بعض ما يسمنى الآن أن أذكره وأمثال هذا كثير فى الآداب الغربية ، وليس له فى الأدب العربى نظير ، وأسباب ذلك كثيرة يطول فيها الكلام فلنرجئها إلى فرصة أخرى تتسع لوجوه التعليل المختلفة .

إبراهيم عبد القادر المازنى

فى التاريخ السياسى :

المأساة الفلسطينية
ومشروع التقسيم البريطانى
بقلم باحث دبلوماسى كبير

لما تسربت الأنباء الأولى عن مشروع اللجنة الملكية البريطانية فى تقسيم فلسطين إلى دولتين إحداها عربية والأخرى يهودية ، وقبل أن يذاع تقرير اللجنة أبدينا فى «الرسالة» أن هذا الحل الجديد الذي ابتكرته السياسة البريطانية لتسوية المسألة الفلسطينية لم يكن حلاً موفقاً ، وأنه لا يمكن أن يرضي أحداً من الفريقين المتنازعين

والآن وقد مضت أسابيع على ظهور تقرير اللجنة عن مشروع التقسيم ، وعرفنا إلى أي حد ذهبت اللجنة الملكية فى استنتاجاتها وفى توصياتها ، وكيف استقبل العرب مقترحاتها بعاصفة من السخط والانكار المطلق لا فى فلسطين وحدها ولكن فى جميع أنحاء الجزيرة العربية ، وكيف اعتزمت فلسطين أن تستأنف النضال فى سبيل حياتها وكيانها ، وكيف تغدو اليوم وشيكة انفجار جديد لا تؤمن عواقبه ، فانه يصعب علينا أن نعتقد أن الحكومة البريطانية التى أقرت مقترحات اللجنة على عجل لم تمتده فى مثل هذه المناسبات الخطيرة. ستغضى عن هذه العوامل الجديدة التى ظهرت فى الميدان منـذ ظهور التقرير ، والتى لا يمكن أن تعاون على استتباب السلام المنشود فى فلسطين

إن مشروع التقسيم الذي تقترحه اللجنة يمزق فلسطين شر ممزق بل هو يقضى القضاء الأخير على كيانها القوي ويخرجها من عداد الأمم والمجتمعات ذوات المميزات الخاصة ويحرمها من كل أمل فى التقدم والنهوض ؛ وإن نظرة واحدة إلى الحدود المقترحة لهذا التقسيم تكفى للحكم بأن فلسطين تمحى بمقتضاه من خريطة الوجود ولا يبقى منها برسم الدولة العربية الجديدة سوى صخور وبسائط صحراوية لم يتح للعمران طيلة القرون أن يذللها وأن يستثمرها ؛ وماذا عسى أن يبقى من فلسطين العربيـة إذا اقتطعت منها كل